من قوله عليه الصلاة والسلام تنام عيناي ولا ينام قلبي فكيف طلعت
الشمس عليهم بغير صلاة وما ايقظهم الا حر الشمس او تكبير عمر قلت
طلوع الشمس ليس من مدركات القلب وانما هو من مدركات البصر
الذي هو احد الحواس الظاهرة التي استولى عليها النوم والله اعلم
واما قول موسى عليه الصلاة والسلام هذا من عمل الشيطان فجوابه انه
كان قبل نبوته كما يشهد به القرآن ولو سلمنا العصمة ايضا قبلها فكما
نقول انه من اضافة القريب كل قبيح الى الشيطان كما هو بيانه لا يقال
صنيع الحرب متاخر عن ذلك فكيف جا عليه والمتاخر هو الذي يجي على طريق
المتقدم لا العكس لانا نقول مراد الاية بذلك ان صنيع العرب غزنه
جار على الوضع الاصلي حتى ان من تفقه منهم نسيج تاليو الخفة ولم يخرج
عنه فليتامل فان قلت هذه احوال لا تشبها في المقسم فما
احوالهم في الامور الدنيوية التي لا ترجع الى ديانة ولا تشريع
ولا الى تعلم ولا تعليم قلت هذا المبحث طويل الذيل عظيم
يتجلى بضبطه ثلاثة مباحث المبحث الاول في اعتقاداتهم الراجعة
الى الامور الدنيوية نقول اعلم ان اعتقاداتهم عليهم الصلاة
والسلام في الامور الدنيوية الغالب للكثير اصابتها وتوافقها لما هو
البسداه ويجوز على وجه الندور والقلة ان يذهب عليهم تدبير
بعض امور دنياهم لم يهمه اليه الامر نفسه بي لمن لبنة اله سنا
وجعلها همه ودينه وتشغله وان يقع منهم الحكم عليه بشي ويظهر
خلافه او يكونوا منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع فقد قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يوبرون النخل فقال لما تصنعو
قالوا انا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت او
نفضت الثمرة فذكروا له ذلك فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشي من
دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر انتم اعلم
بامر دنياكم وفي رواية انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن
وفي قصة الخرص انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت
فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب وقد رجع في غزوة
بدر لقول الحباب بن المنذر حين قال له اهذا منزل انزلكه الله
ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال بل هو الراي
والحرب والمكيدة فقال الحباب انه ليس بمنزل انهض حتى نات
ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وهو محمل قوله تعالى وشاورهم
في الامر واراد مصالحة الاحزاب على ثلث ثمر المدينة واستشار
الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا وما شابهه من
امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا

تغليبها

تغليبها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس فيه نقيصة ولا محطة وانما
هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه
بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم
الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية وبالجملة لا يكثر
منهم ذلك بحيث يوذن بالبله والغفلة لما مر من وجوب فطانتهم
صلى الله وسلم عليهم اجمعين وقد تواتر النقل عنه عليه
الصلاة والسلام بمعرفة من امور الدنيا ودقائق مصالحها
وسياسة فرق اهلها ما هو معجز للبشر الكاملين والجهابذة
النافذين ومنه هذا النمط ما يستفيده وتدبير احكام البشر
الجارية على ايديهم وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد
من المصلح على ما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشي فلا
ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من النار ويجوز في احكامهم
عليهم الصلاة والسلام وقضاياهم ان تجري على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مقتضى حكمة الله تعالى
في ذلك فانه لو شا لاطلعهم على سرائر عباده ومخبات ضمائر
امته فتولوا الحكم بينهم بمجرد يقينهم وعلمهم دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله الامم باتباعهم والاقتدا
بهم في احوالهم وكان اطلاعهم على علم الغيب في كل نازلة مما لا تسمح
بكتمه الحكمة الالهية اقتضت الحكمة الالهية تغيبه احكامهم
بالظاهر والله يتولى السرائر لينتظم بذلك قانون الشرائع
والاحكام وتيسير للحاكم بعدهم فصل التشاجر والخصام
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
ليعلمه منه بما شا ويستاثر بما شا ولا يقدح هذا في نبوتهم
ولا يفصم شيا من عرى عصمتهم المبحث الثاني في اقوالهم الدنيوية
من اخبارهم عن احوالهم واحوال غيرهم فنقول قد علمت مما مر
امتناع الخلف في اقوالهم التي طريقها الخبر المحض ويدخلها الصدق
والكذب مطلقا في الجد والسهو والصحة والمرض والرضى والغضب
واما المعاريض التي يوهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز وروده منهم
في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته صلى الله
عليه وسلم عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من
سماحته صلى الله عليه وسلم ودعابته لبسط امته وتطييب
قلوبهم وتاكيد محبتهم ومسرة نفوسهم وازالة غفلتهم كما في

Copyright © King Saud University